



1

مسيحيو سوريا وفرنسا

قرأت مؤخرا على موقع عربي أن الرئيس الفرنسي هولاند قلق على مسيحيي سوريا... فرأيت العجب لهذا النفاق والرياء... وعدت الى ما كتبت في اواخر السنة الماضية الى جريدة فرنسية تعليقا على نداء مجموعة نواب فرنسيين لمساعدة المسيحيين السوريين وايجاد حل للمشكلة الشرقية... لكن الصحيفة لم تنشر التعليق لانه كان يسمي الامور بأسمائها وفحواه يغضب الاخ الاكبر... وهذا ملخص ما كتبت :

في اوائل القرن الماضي كانت المشكلة الشرقية تشغل بال العالم الغربي، وكان زعماءه يدعون السعي لايجاد الحل المناسب، لكنهم في الواقع كانوا يسعون لتعقيد المشكلة كي تستمر تدخلاتهم كما كانوا يفعلون ايام الباب العالي العثماني. وكان ان خانوا حلفاءهم العرب واعطوا اعداءهم وعد بلفور. وحين انتدبت عصبة الامم فرنسا على سوريا قسّمتها الى اربع دول طائفية وتنازلت عن بعض اطرافها حتى يحمل جبل لبنان لقب 'لبنان الكبير' على حساب اراض سورية، كما سلمت الاتراك لواء اسكندرون. فقامت انتفاضات شعبية عديدة، من ثورة 1925 حتى 1936 الى 1945 حين قصف الفرنسيون دمشق ومجلس النواب السوري لمطالبته بالاستقلال... علما بان مهمتهم كانت تحضير استقلال سوريا ولبنان.

ولما زار فرنسا البطريرك الماروني الكردينال بشارة الراعي، طالب الرئيس ساركوزي بالسعي لحل عادل لمشكلة فلسطين التي تتفاعل مع كافة دول المنطقة وتسبب المعاناة والخلافات لمسيحييها ومسلميها... وذلك :

- كي يستقر الشعب الفلسطيني التائه وتعود له بعض من ارض ابائه واجداده...
- كي يزول خوف الدول المضيفة من الانعكاسات السلبية على نسيجه السكاني...
- كي توقّر الانروا اموالا طائلة لتلبية حاجات اللاجئين وتعويضات موظفيها...
- كي يتمكّن المواطن الفلسطيني التائه المهجر من العيش بكرامة وانسانية...
- كي تزول حاجة دول الجوار الى الاستعداد المستمر للدفاع والمقاومة...

وهنا بيت القصيد : اذا توقّف التسلح، كيف لمعامل السلاح ان تستمر في الحياة، وكيف لاقتصاديات الدول المنتجة ان تتعايش مع بطالة ملايين العمال؟... لذا تبسّم الرئيس الفرنسي امام تمنيات البطريرك ووعده خيرا، والخير لا يهّمه ولا يعنيه... لان القوى الظلامية تقف حجر عثرة في وجه حل القضية الفلسطينية التي تجاوز عمرها خمسة وستين سنة، ومن مصلحة من بيده الحل والربط أن تستمر الى ما شاء الله، كي يحمي اصحاب الكراسي كراسيهم وتبقى عالقة غب الطلب...

ومسيحيو البلاد المشرقية لم يطلبوا ابدا الحماية من الغرب. لكن الغربيين الذين يدعون الانتماء للمسيحية، والمسيح بريء منهم، وبذريعة حماية المسيحيين، كانوا قد سبق وفرّقوهم بـ مبشريهم وارسالياتهم الى اورثودكس وكاثوليك وانجيليين كي يستغلوا هذه التفرقة فيتدخلوا في شؤونهم وشؤون بلادهم تحقيقا لمصالحهم.

سماحة مفتي الجمهورية يرثي بطريرك سوريا في دمشق¹

وبعد ان شكرت النواب الفرنسيين اصحاب النداء على مسعاهم الحميد وعلى حسن نيّتهم، تابعت قائلاً : ذكرتم في ندائكم ان مسيحيي سوريا، كما في مصر والعراق وباكستان، هم عرضة مفضّلة للهجمات وانا أودّ ان اؤكد لكم ان هذا رأيي بعيد عن واقع الحال لان سوريا تختلف كلياً عن سائر الدول :

- مسيحيو سوريا قبل بدء الاحداث الاليمة في 15.3.2011 كانوا بالف خير قبل تدخل القوى الظلامية اللئيمة المستوردة من كافة اصقاع الارض.
- لان سوريا، رغم انها ذات اكثرية اسلامية، فهي الدولة التي تتبع الاسلام الحنيف والاكثر اعتدالاً وتطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم حتى انها تحمل اسم مدرسة الاعتدال.
- لان القاصي والداني، ومنذ فجر الاسلام وحتى يومنا هذا، يعرف ان التعايش الاسلامي المسيحي والاحترام المتبادل هو مقدس بين كافة مكونات الشعب السوري .
- لان بلاد الشام لم تعرف التفرقة الدينية الا على ايام الحكام المسلمين غير العرب مثل السلاجقة والمماليك والعثمانيين... ونادراً ما اضطهد بعض الامويين وبعض العباسيين تلاميذ المسيح.

لقد قرأت بحثاً رائعاً للمفكر العراقي علي الصراف على موقع شبكة البصرة، يقول في مطلعته ما يلي :

القول ان المسيحيين العرب هم اقلية في اوطانهم هو خطيئة لانه يؤقنن عربوتهم ويضعهم على هامش التاريخ وهم الذين ظلوا في قلبه ولعبوا دوراً فكرياً ريادياً في صنع مشرونا الحضاري السياسي الوطني والتحرري. وثقافة العيش المشترك هي الفلسفة الجامعة لكل جهد مسيحي في العالم العربي، ومسيحيوتهم لم تعلق ابداً على عربوتهم بينما نجد العديد من المسلمين يضعون طائفيتهم فوق وطنيتهم ...

وتابعت رسالتي الى النواب الفرنسيين اصحاب النداء قائلاً : لدينا قول عربي مأثور ارجو التمعن به :

" اهل مكة ادري بشعابها... "

وهذا يعني بكل صراحة : نحن مسلمو ومسيحيو هذا البلد بالف خير حين لا يتدخل الغرب في شؤوننا إذ

- اننا نعرف القوى الظلامية التي سببت وتسبب العذاب والالم للارامل والثكالي والايام المفجوعة، التي دمّرت المؤسسات الحكومية والمدارس والمواقع الاثرية، التي دنست بيوت العبادة وحرمت من كان بحاجة لخلوة مع الرحمن للصلاة والاسترحام قائلاً الله اكبر الله محبة.
- اننا نعرف القوى الظلامية الكامنة وراء الدمار لاعادة الاعمار على نفقة الوطن المدمّر وهي تدّعي المساعدة بكل نفاق ورياء، وترافق الشهيد الى مثواه الاخير وتذرف عليه دموع التماسيح.
- اننا نعرف القوى الظلامية التي تقترح فتح الممرات الانسانية بحجّة مساعدة الشعب المعذبّ في حين ان مقاطعتها الاقتصادية تطال قوت الشعب فقط، دون ان تمس الحاكم الذي تصده المقاطعة.
- اننا نعرف القوى الظلامية التي تصف عكازاً للمكسورة رجليه عوض ان تعالج وتجبر الكسر وهي التي سببت الكسور وهجرت البشر ودمّرت الحجر واخذت تقدم له وجبة مسبقة الصنع بعد ان جوعته.
- اننا نعرف القوى الظلامية التي جعلت من العراقيين لاجئين مهيزي الجناح حول العالم منذ ان احتلت بلادهم سنة 2003 بحجة امتلاكهم اسلحة دمار شامل وجاء اعتذار هذه القوى الظلامية على كذبهم متأخراً جداً...

- انا نعرف القوى الظلامية التي بشرتنا من بيروت سنة 2005 بالفوضى الخلاقة التي دمرت ولا تزال تدمر العديد من البلاد والعباد بحجة نشر حرية وديموقراطية دول مجلس التعاون.
- انا نعرف القوى الظلامية التي استقبلت بحفاوة بالغة في قصورها، بعض الزعماء وطبعت على يدهم قبلة الاجلال واعتبرتهم المرشد الروحي ثم نكلت ببلدهم واذاقتهم علقم الموت.
- انا نعرف القوى الظلامية التي مؤلت وسلّحت ودرّبت بعض مواطنيها المغضوب عليهم، كي تتخلص منهم كقتال موقوتة، وقامت بايصالهم الى آتون النار ليُقتلوا او يحقّقوا مبتغاهم.
- انا نعرف القوى الظلامية التي رفضت اعطاء تأشيرة دخول بلادها لسماحة مفتي الجمهورية ولسيادة الوكيل البطريركي وهما في طريقهما لشرح وجهة نظر سوريا عن الاحداث للغرب.

وكان سبب رفض إعطاء تأشيرة الدخول رغبة الغرب في اعطاء دولة، عمرها من عمر التاريخ سبعة الاف سنة، دروساً في حرية الرأي، دروساً في حقوق الانسان، دروساً في الديموقراطية دروساً في العدل والمساواة في حين ظهر التشريع الديني والمدني في ربوع بلادها المقدسة... ألم يؤكد موسى الكليم في توراتهم أن اباه كان أراميا؟ ... أليس عيسى ابن مريم هو ابن هذه الارض الطاهرة؟ ... أولم تنطلق رسالة النبي محمد من دمشق وبغداد بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة؟ ...

وبعد ان شكرتُ النواب الفرنسيين اصحاب النداء على غيرتهما واهتمامهم بمسيحيي سوريا ذكرتهم بان مسيحيي فرنسا هم اكثر حاجة منا الى مجهودهم، لأسباب داخلية حياتية وتاريخية، وخاطبتهم قائلاً :

- الا يستوجب الغاء ذكر الحضارة المسيحية في صلب الدستور الاوروبي بعض اهتمامكم؟...
- محاربة الصليب في مدارس فرنسا، اليس أولى باهتمامكم من مسيحيين لم يطلبوا مساعدتكم؟...
- وتسمية الحضارة الاوروبية بـ 'اليهودية المسيحية' ألا تتناقض والعلمانية التي تدعون تطبيقها؟...
- اليس الاجدى بكم ان تعودوا الى ماضي فرنسا المجيد بعد ان اصبحتم من اتباعاً صغاراً للأخ الاكبر؟...
- اليس الافضل ان تهتموا بمشاكل فرنسا كي لا تغرق في رمال سوريا المتحركة كما غرق غيرها؟...

اما اذا كنتم مصريين على المساعدة، يا حضرات النواب، نتمنى عليكم توجيه جهودكم الى إنصاف الدولة ذات السيادة التي تعاني من تشويه الحقيقة في إعلامكم وان تسمعوا وتعاونوا وجهة نظرها... نتمنى عليكم ايصال حقيقة ما يقوم به حكام بلادكم من مقاطعة اقتصادية تنهك الشعب وتهجره من ارض ابائه واجداده... نتمنى عليكم قولوا لمسؤوليكم ان الفرنسي الذي يقصد ارضنا المقدسة، اذا طال عمره، سيعود وقد اتقن كل فنون الموت... نتمنى عليكم ان لا تنسوا ان ل سوريا دين في ذمتكم. ألم ترسل لكم دمشق وانطاكيا رسالة الانجيل؟ ... ألم تنقل لكم حضارة مصر وبلاد الشام وما بين النهرين؟ ... ألم تحمل لكم فكر اليونان والهند وفارس؟ ... بالله عليكم خبرونا ما هي رسالتكم لشرقنا المقدس ولسوريا الشهيد الحي؟ ...

نرجوكم دعونا وشأننا، ارفعوا يديكم عن بلادنا ونحن كمسيحيين بالف خير مع اخوة لنا في الوطن مسلمين مؤمنين يحترمون انجيلنا ويحلمون عيسى ابن مريم وامه المقدسه مريم ابنة عمران، ولم يسبق ان قالوا عنها بهتاناً عظيماً، كما فعل 'المدلل'... بينما يؤكد القرآن الكريم ان العذراء مريم حملت في احشائها وهي بتول... وتابعت قائلاً : ان سوريا تقارع القوى الظلامية ببسالة وايمان لانها تذكر دوما ما جاء في القرآن الكريم :

" ان ينصركم الله فلا غالب لكم "

وختمت كتابي لنواب فرنسا الغيورين بما كتب السيد لويس دانجهام يوم 25.12.2012 على موقع Info-Syrie حول
الاضاع الاليمة في سوريا : " باسلوبه المميز وعباراته المعبرة، أذان البابا بندكتوس التطرف الديني والتدخل الخارجي
واشار على الجميع باللجوء الى الحوار لحل مشاكلهم فيما بينهم..."

وختاماً أتمنى عليكم رفع هذا " الاسترحام " إلى من على العرش استوى :

يا ارحم الراحمين نتوسل اليك ضارعين ان تقوم سبلنا
وتعين ضعفنا وثبتت اقدامنا وتطهر اعمالنا
وتنقي ضمائرنا وتمحي اوزارنا وتقدس نفوسنا
وتستر اعراضنا وتشفي مرضانا وتسند شيوخنا
وتعصد شباننا وتربي اطفالنا وترد غيابنا
وتصبر المحزونين وتشبع الجائعين وتحفظ الحاضرين
وتعيد المفقودين وتبعد جور الظالمين وترزقنا يا رحيم

يا أرحم الراحمين

نتوسل إليك ضارعين أن تحمي بلادنا وكبير بلادنا
وتحفظ كرامة شعبنا وتحصن عزة وطننا وتوحد قلوبنا
وثبتنا في تعايشنا مسلمين ومسيحيين إلى أبد الأبد

أمين.

استقيت هذا الاسترحام من صلاة قديمة مترجمة عن السريانية وتسمى " السهرانة "

لوجانو في 10.10.2013

فؤاد عزيز قسيس